من قصيري النظر يرون في عرض الكاتب انتاجه على المجلات دون طلب منها تطفلا منه عليها ، فلماذا لا يعدون طلب المجلات من الكاتب تزويدها بمقالاتهم تطفلا منها عليه ؟ ان هدف المجلة والكاتب واحد وهو النشر . فمن حق المجلة أن تطلب المقالات بقدر ما يحق للكاتب أن يعرض انتاجه .

وهناك جانب آخر من جوانب العلاقة بين المجلات والكتاب يحتاج الى تنظيم ويتعلق بظلم المجلات أو دور النشر للكتاب وظلم الكتاب للمجلات ! فكيف ذلك ؟!

دار النشر تظلم الكاتب عندما تفرض عليه السعر الذي يناسبها ولا تنشر الا الكتب التي تدرّ عليها ربحا أكبر بصرف النظر عن القيمة الادبية لهذه الكتب . والمجلة أيضا تظلم الكاتب عندما لا تقرن نشر مقاله وابرازه ودفع تعويضه المادي بجودة العمل وأهميته ، بل تربط ذلك بعوامل مزاجية وشخصية ومصلحية ، وهي تظلمه كذلك حينما يزودها بأعماله وبخاصة بواسطة البريد عندما يكون مقر المجلة في بلد آخر غير الذي يقيم فيه الكاتب ثم لا تعلمه بمصير هذه الاعمال . وبذلك توقعه في ورطة . فعندما لا تنشر مقاله تضعه أمام احتمالين هما في غير صالحه ، فاما أن يتجمد المقال لفترة طويلة من الزمن فيفقد هذا جدته ورونقه ومناسبته ، واما أن يرسل المقال الى مجلة أخرى فيفتح المجال أمام ازدواجية النشر مما يسيء الى سمعة الكاتب الادبية .

ونأتي الآن الى الناحية المقابلة ، فالكاتب يظلم المجلة عندما يرسل عملا واحدا الى مجلتين أو أكثر عن سابق عمد واصرار ليتقاضى تعويضين أو أكثر عن هذا العمل . والكاتب الدعي أو الكاتب المرتزق أو لص الكتابة يظلم المجلة عندما يسرق نصا لكاتب آخر فيقدم ويؤخر بعض فقراته ويغير عنوانه ويحور جزءا منه ثم يبعث به الى المجلة لينشره باسمه ضاربا عرض الحائط بكل القيم الادبية والاخلاقية .

ان الظلم المشترك بين مؤسسات النشر والكتاب يدل على ان العلاقات بينهما عشوائية لا ينظمها ضابط ، في حين نرى ان علاقات الاطباء والمهندسين والمحامين بالجهات التي يتعاملون معها منتظمة وتحكمها تشريعات واضحة ، وهذا طبعا في غير صالح الكاتب .

ومن المشكلات البارزة الاخرى عدم قدرة عدد كبير من الكتاب على طباعة كتبهم على نفقتهم الخاصة ، فأسعار الطباعة والورق والكرتون والكليشهات ارتفعت ارتفاعا كبيرا ، ومما يزيد من تكاليف طباعة الكتاب أن الكاتب بصوره عامة لا يستطيع ان يطبع الا عددا محدودا من النسخ بسبب عجزه عن توزيع كتابه خارج القطر الذي يعيش فيه . الكتب المصرية واللبنانية وحدها اليوم تتحرك وتجتاز الحدود . أما الكتاب السوري والاردني والسعودي والجزائري ... الخ ، فهو سجين جدران البلد الذي يصدر فيه . ونتيجة لذلك هناك اليوم عدد كبير من الكتاب العرب يحتفظون بمخطوطات كتبهم ولا يجرؤون على المجازفة بطباعتها على نفقتهم خوفا من الخسارة المادية ، والكتاب المشهورون جدا فقط يستطيعون الاعتماد على دور النشر لطباعة كتبهم (١) .

ومن المشكلات التي يواجهها الكتاب أيضا ان الشعب العربي شعب لا يقرأ ! فهناك كثير من الدراسات والمقالات القيمة التي يبذل الكاتب في اعدادها جهودا هائلة تنشر في الصحف أو المجلات أو الكتب دون أن يطلع عليها سوى عدد قليل جدا نسبيا من القراء ودون أن تثير الا قليلا من الاهتمام !

هذه بعض من مشكلات الكتابة والادب في الوطن العربي وهناك غيرها الكثير .. ولا نستطيع بالطبع أن نأمل بحلول سريعة لهذه المشكلات التي ترتبط ارتباطا وثيقا بمشكلة التخلف العام في الوطن العربي . وبقدر ما ننجح مستقبلا في كسر قضبان هذا التخلف والخروج عن طوقه ، تنفسح أمام الكاتب العربي دروب الامل وتنتصر قضية الادب .

* * *

هذه الاعمال « الناقصة » للافغاني

محمد جبريل

عندما أصدر الصديق الباحث الدكتور محمد عمارة ، مجموعة الاعمال الكاملة لمحمد عبده ورفاعة الطهطاوي وجمال الدين الافغاني ، أدهشه سؤالي : هل هذه هي الاعمال الكاملة فعلا ؟.. وروى لي عن العقبات العديدة التي صادفته ، واستطاع ـ بأناة الباحث ودأبه ـ أن يتجاوزها ، وأن ينهض ـ منفردا ـ بما كان يجب أن تتولاه لجان لها امكانيات ..

واذكر اني سألت الدكتور عمارة عن أعمال الافغاني بالتحديد ، فهو لم يستقر ـ في حياته ـ في مكان ما ، ولم يترك بلدا أقام فيه ، لفترة طويلة أو قصيرة ، دون أن يترك اثرا ، أو آثارا ، مكتوبة ، ولو في صورة رسائل الى زعماء وقادة هذه البلاد .. فهل سافرت ـ الدكتور عمارة ـ وراء أعمال الافغاني في فارس مثلا ، أو في فرنسا وبريطانيا وتركيا والهند ؟

فقال بثقة الباحث المقتدر : ان الامكانيات المادية لم تتح لي السفر وراء ما خلفه الافغاني من أعمال .. لكنني كلفت أصدقاء ثقة في البحث عن كل ما يمكن نسبته الى الافغاني ، حتى يتاح لي دراسته ، والوصول الى مجموع الاعمال الكاملة للداعية الاسلامي . وقد حتمت عليّ الامانة العلمية ، أن أحاول التوصل الى آراء الافغاني التي أملاها ، وتلك التي أوحى بفكرتها الى

---

(١) انظر مقالنا في مجلة « صوت فلسطين » عدد حزيران ١٩٧٧ .

الاستاذ الامام ، والى سواه من تلاميذه ، حتى أصل الى ما يكون قد كتبه الافغاني ـ او املاه ـ بالفعل ..

وبالحاح ، عاودت السؤال : ولكن الباحثة الاميركية مسز نيكي عثرت في بعض المدن الايرانية ، التي أقام بها الافغاني سنوات حياته الاولى ، على معلومات تهز المتوارث مما كتبه المؤرخون عن الرجل . واثبتت الباحثة الاميركية ـ من خلال وثائق رسمية توصلت اليها ـ ان الافغاني من مواليد فارس ، وليس الافغان ، وانه كان شيعيا ، وليس سنيا ، وان لقب « الحسيني » الذي اضافه الى اسمه ، أراد به أن ينتسب الى آل البيت دون ان يرتكز في ذلك الى الحقيقة الخ... فهل تثق ان مكتبات وقصور استانبول ـ مثلا ـ تخلو من الاعمال ـ او الوثائق ـ التي يسم افتقاد اعمال الافغاني الكاملة لها بنقص شديد ؟..

ولم يغادر الدكتور عمارة هدوءه : لقد دفعت باعمال الافغاني الى المطبعة بعد ان استراح ضميري العلمي ، انها هي اعماله الكاملة ..

ولا اذكر ـ الآن ـ مرفأ الختام الذي وصل اليه النقاش .. لكن الشعور الذي لازمني ان التأكيد على الاعمال الكاملة ربما يصح بالنسبة للاحياء ، لوجود صاحب الاعمال ، فهو ادرى الناس بتكامل اعماله من عدمه ، وهو المرشد الادق للاماكن التي ربما غابت فيها بعض هذه الاعمال : مكتبة خاصة ، صديق ، عدد قديم من جريدة .. لكن الراحلين ـ وبالذات في عصر أهمل الدراسات الببليوجرافية ـ يحتاجون الى معاناة اشد ، والى توسع في البحث والدراسة ، والى نشدان الاثر في كل مكان ربما يتصادف وجوده فيه ..

واذا كان ذلك ينطبق على الطهطاوي والامام ، فهو ينطبق ـ بصورة اكثر الحاحا ـ على الافغاني ..

ان الافغاني يتفرد بهذه الحياة الاسطورية ، التي ابانت عن بعض خفاياها ، وكتمت بعضها الآخر ، وهو قد تنقل في العديد من الدول ، وشارك في الجماعات السرية والعلنية ، والقى الخطب ، وكتب ـ واملى ـ المقالات ، وخطط وتآمر واوحى بما يريد اذاعته، واخفى ما لا يريد. حتى مسقط راسه ظل مجهولا ـ او مرتكزا الى روايته هو ، حتى توصلت مسز نيكي الى مكان مولده الحقيقي. وصاحب هذه الحياة الخصبة ، يصعب ان يضع بيضه في سلة واحدة . وبتعبير ادق : يصعب ان يترك آثاره في بلد واحد ، ذلك لان الكلمة كانت وسيلته الاولى (ونتذكر طرده من مصر في عهد توفيق ، وقوله المعزي لتلاميذه الذين اشفقوا من افتقاده للزاد والمال : ان الاسد لن يعدم فريسته في اي مكان) ..وقد لجا ـ بالطبع ـ الى هذه الوسيلة في كل البلاد التي زارها ، واقام فيها : فخلافه مع علماء الهند كان اداته الكلمة . وحين الجاته الظروف للاقامة في العاصمة الفرنسية ، تواصلت انفاس حياته باصدار جريدة « العروة الوثقى » ..

اذن ، فالاحاطة بالاعمال التي خلفتها هذه الشخصية الاسطورية مما يصعب ان نضع فيه ببساطة نقطة النهاية ، وان كان مما يقرب الباحث من هذا الهدف ان يتردد على الاماكن ذاتها التي تردد عليها الافغاني في حياته ، يبحث ويناقش ويسأل ، ويستوضح ما قد يكون غامضا .. وذلك ما لم يفعله ـ كما روى لي ـ الدكتور عمارة ..

وللدكتور ـ في تقديري ـ عذره الواضح .. فاذا كان غياب الامكانيات المادية يجهض بعض البحوث التي تجريها جامعاتنا ، او تذوي من تكاملها المرجو ، فان المشكلة تتضاعف للافراد الذين يتلقون في النهاية عائدا مضحكا .

ولقد تكفلت حكومات الدول الاشتراكية بحل مشكلة الانفاق على الدراسات الاكاديمية ، فالدولة تتولى الانفاق على متطلبات البحث ، حتى يضع الباحث نقطة الختام ـ مستريحا ـ في النهاية .. والمؤسسات والشركات الكبرى في الغرب تخصص قسما من أرباحها لتمويل الدراسات الاكاديمية التي يتولاها الافراد والهيئات (وبالمناسبة ، فقد مولت احدى الشركات الاميركية رحلة مسز نيكي التي زارت فيها كل البلدان التي زارها الافغاني) . ومع ذلك، فان الاعتذار عن الكمال النسبي ـ مرفوض في الدراسات الاكاديمية ، حتى لو ارتكز الى نقص الامكانيات المادية !

لقد أردت بهذه المقدمة ـ التي ربما طالت شيئا ـ ان أمهد لهذا الخبر الذي طالعتنا به الصحف الايرانية مؤخرا . وملخصه انه قد صدر في طهران كتاب جديد باسم « أقاصيص المعلم ـ من آثار السيد جمال الدين اسد آبادي ـ اعدها للنشر ابو الفضل القاسمي » . ويضم الكتاب اربع قصص طرق بها الافغاني هذا المجال الفني ، الذي اغفلت كل الدراسات والابحاث انه قد حاول التعبير فيه .. ومن بينها ـ بالطبع ـ مقدمة الدكتور محمد عمارة الضافية لاعمال الافغاني . فضلا عن الاعمال ذاتها التي تغيب عنها هذه القصص ، وما قد تبين عنه الاجتهادات المقبلة من آثار أخرى ..

اذن ، فالاعمال الكاملة لجمال الدين الافغاني ليست كذلك . واكاد أقول : ان الاعمال الكاملة للطهطاوي والامام ليست كذلك ايضا .. ذلك لان الجهد الفردي ، دون الامكانيات التي تتيح لصاحبه الوصول الى المصادر في اماكنها ، هو جهد يستند الى النية الحسنة وحدها ..

والاسهل ان نعيب على الباحث تسرعه ، فيما يتطلب الاناة والجدية.. ولكن العيب اساسا ، في نقص الامكانيات ـ بصورة مذهلة ـ عن انشطتنا الاكاديمية .

ولتكن الاعمال « الناقصة » للافغاني مؤشرا ، ومثلا ينبغي الا يتكررا .

القاهرة

محمد جبريل